

تفسير البحر المحيط

@ 296 @ الأجل ولا يتأخرون عنه . .

{ يَسْتَقْدِمُونَ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنْ أَتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } . هذا الخطاب لبني آدم . قيل : هو في الأول ، وقيل : هو مراعى به وقت الإنزال وجاء بصورة الاستقبال لتقوى الإشارة بصدّة النبوة إلى محمد صلى الله عليه وسلم) { وَمَا } في إمّا تأكيد ، قال ابن عطية وإذا لم يكن ما لم يجر دخول النون الثقيلة انتهى ، وبعض النحويين يجيز ذلك وجواب الشرط { فَمَنْ أَتَّقَى } فيحتمل أن تكون من شرطية وجوابه { فَلَا خَوْفٌ } وتكون هذه الجملة الشرطية مستقلة بجواب الشرط الأول من جهة اللفظ ويحتمل أن تكون من موصولة فتكون هذه الجملة والتي بعدها من قوله { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا } مجموعهما هو جواب الشرط وكأنه قصد بالكلام التقسيم وجعل القسمين جواباً للشرط أي { إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ } فالمتّقون لا خوف عليهم والمكذبون أصحاب النار فثمرة إتيان الرّسل وفائدته هذا وتضمن قوله { فَمَنْ أَتَّقَى وَأَصْلَحَ } سبق الإيمان إذ التقوى والإصلاح هما ناشئان عنه وجاء في قسمه { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا } والتكذيب هو بدو الشقاوة إذ لا ينشأ عنه إلا الانهماك والإفساد وقال بل الإصلاح بالاستكبار لأنّ إصلاح العمل من نتيجة التقوى والاستكبار من نتيجة التكذيب وهو التعاطم فلم يكونوا ليتّبعوا الرسل فيما جاؤوا به ولا يقتدوا بما أمروا به لأنّ من كذب بالشئ نأى بنفسه عن اتباعه ، وقال ابن عطية : هاتان حالتان تعمّ جميع من يصدّ عن رسالة الرسول إما أن يكذب بحسب اعتقاده أنه كذب وإما أن يستكبر فيكذب وإن كان غير مصمّم في اعتقاده على التكذيب وهذا نحو الكفر عناد انتهى ، وتضمّنت الجملتان حذف رابط وتقديره { فَمَنْ أَتَّقَى وَأَصْلَحَ } منكم ، { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا } منكم وتقديره { وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ } الجملتان ، وقرأ أبي والأعرج إما تأتينكم بالتاء على تأنيث الجماعة { * ويقصّون } محمول على المعنى إذ ذاك إذ لو حمل على اللفظ لكان تقصّ . .

{ خَالِدُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنذَلُوهُمْ نَصِيبُهُمْ مِّنَ الْكَرْتَابِ } لما ذكر المكذّبين ذكر أسوأ حالاً منهم وهو من يفتري الكذب على الله وذكر أيضاً من كذب بآياته ، قال ابن

عباس وابن جبير ومجاهد : ما كتب لهم من السعادة والشقاوة ولا يناسب هذا التفسير الجملة التي بعد هذا ، وقال الحسن : ما كتب لهم من العذاب ، وقال الربيع ومحمد بن كعب وابن زيد : ما سبق لهم في أم الكتاب ، وقال ابن عباس أيضاً ومجاهد أيضاً وقتادة : ما كتب الحفظة في صحائف الناس من الخير والشر فيقال : هذا نصيبهم من ذلك وهو الكفر والمعاصي وقال الحكم وأبو صالح ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار والخير والشر في الدنيا . وقال الضحاك : ما كتب لهم من الثواب والعقاب ، وقال ابن عباس أيضاً والضحاك أيضاً ومجاهد ما كتب لهم من الكفر والمعاصي ، وقال الحسن أيضاً : ما كتب لهم من الضلالة والهدى ، وقال ابن عباس أيضاً : ما كتب لهم من الأعمال . وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك : { مِّنَ الْكِتَابِ } يراد به من القرآن وحطهم فيه سواد وجوههم يوم القيامة ، وقيل : ما أوجب من حفظ عهودهم إذا أعطوا الجزية . وقال الحسن والسدي وأبو صالح : من المقرّر في اللوح المحفوظ وقد تقرر في الشرع أن حطهم فيه العذاب والسخط والذي يظهر أن الذي كتب لهم في الدنيا من رزق وأجل وغيرهما ينالهم فيها ولذلك جاءت التغية بعد هذا بحتى وإلى هذا المعنى نحا الزمخشري ، قال : أي ما كتب لهم من الأرزاق والأعمال .

{ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِّن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَیْ أَنْفُسِهِمْ } . تقدّم الكلام على { حَتَّى إِذَا } في الأوائل الأنعام ، ووقع في التحرير { حَتَّى } هنا ليس بغاية بل هي ابتداء وجر والجملة بعدها في موضع جرّ وهذا وهم بل معناها هنا الغاية والخلاف